مجلة الرائد

العدد : ٢٢٩ الموافق في ربيع الآخر ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٧ ميلادي

عنوان المقال : الانتفاضة أمل وألم .. في ذكرى النكبة	الكاتب : أم عبد الرحمن

كنت اقول لأولادي في مثل هذا اليوم من العام المنصرم وهم يسألون عن أوضاع هذه الأمة من زوايا غربتهم المضاعفة: نحن جيل 'كتب عليه أن يعيش في زمن محنة ، وعليكم أن تختاروا بين أن تعيشوا المحنة بالعمل والأمل ، أو أن تعانوا من هذا الواقع وأنتم على هامش التاريخ والحاضر والانتماء ، وسترون على كل حال ، وعاجلا أم آجلا أن وعد الله آت لاريب فيه ، سترون هذه الأمة وقد وقفت وقفة رجل واحد ، وبصوت واحد ، ترفض التطبيع والاستسلام، كما ترفض ازدراد واحتمال تغلغل اسرائيل في حياتها ، وستزلزل الأرض من تحت أقدام الاستكبار والاغتصاب والاستئصال التي تدوس بها هذه الصنيعة الغربية أشياء لاتموت ..كالحق والتاريخ والإنسان.

وجاء ذلك اليوم أسرع مما كنا نظن ، وفعلت فينا صورة استشهاد "محمد الدرة " صبراً وقهراً أمام سمع العالم وبصره ، أكثر مما كنا نتصور وننتظر ، فلقد كان اليأس في حينها قد بلغ منا كل مبلغ ، وهكذا انقلبت كل المعادلات ، وسقطت كل المؤامرات أمام هذا الجسد الصغير الذي 'أعدم ظلما وحقدا ، و'كشف النقاب عن حقيقة فظيعة نحياها وهي أننا أمة مستعمرة بكل أبعاد الاستعمار ، بلغ ذلك منا أن احتُلت عقولنا واستسلمت إرادتنا وانتهكت أعراضنا ونحن نتفرج.

ولدت انتفاضة الأقصى المباركة بارهاصات عربية وإسلامية سبقتها ورافقتها ، وتغيرت أشياء ورؤى ومفاهيم كثيرة في أقل من عام ، وانتقل الحديث في ذكرى النكبة من الدعوة إلى الحداد والغضب ، ليصبح اليوم حديثا عن الفداء والعطاء ، عن الآلام والأمل .

لقد أحدثت انتفاضة الأقصى هذه زلازل عنيفة في حياتنا وعلى كل المستويات ، أعادت للقضية الفلسطينية عمقها العربي والإسلامي ، بل واحترامها دولياً ، على الرغم من الصمت الرسمي والتعتيم الإعلامي الدولي ، وأعادت للشارع العربي ثقته بالفلسطيني المقاتل والمناضل ، وعادت قلوبنا تنبض بلحن الشهادة في سبيل الله ، وأعادتنا إلى ساحات الجهاد والكفاح ، وعلمتنا درسا بليغاً في الصبر والمصابرة والرباط والمرابطة ، ، وكشفت عن أعيننا الغلالة السوداء التي أعمت بصائرنا ونحن نتخبط في معارك جانبية هنا وهناك ، طالما شغلتنا عن معركتنا الوحيدة والرئيسية ، معركتنا مع هذا العدو الذي عرّته انتفاضة الأقصى هذه وفضحته عربيا وعالميا ، وجعلته يتخبط في أزمة تتعلق بوجودِه ومصداقيته ، وهو العاجزُ على الرغم من كل مايمتلكه من وسائل فتكٍ وحشيٍ ودمار ، عاجز عن

عنوان المقال : الانتفاضة أمل وألم .. في ذكرى النكبة	الكاتب : أم عبد الرحمن

الحوار ، عاجز عن الانتشار بأيِ بُعدٍ من الأبعاد بعد أن استطاعت الانتفاضة المحاصرة أن تحصره في الزمان والمكان وفي عمق أحقاده وغربته في وطن الآخرين ، كما أصبح عاجزا عن قلب الحقائق إلى باطل ، عاجزا عن الاستمرار في إخراج أكبر عملية تمويه وتزوير عرفتها الإنسانية في تاريخها ٠

إلا أننا وفي هذا اليوم الكئيب العصيب ، لم نستطع وللمرة الثالثة والخمسين، ان ننفك عن هذا الشعور الخانق بالحسرة والألم ، بسبب عجزنا المزمن _ نحن كذلك_ أمام كارثة صارت أكبر من الكلمات ، ونكبة أعظم من كل التضحيات ، ونحن للأسف ماعدنا نملك اليوم إلا الكلمات ، ونبرهن في كل ساعة على عجزنا عن تقديم التضحيات ٠

جريمة الصمت هذه التي نرتكبها ساعة فساعة أمام سيلِ الدماء الفلسطينية أصبحت غولاً يهدد الانتفاضة كما يهدد وجود هذه الأمة ، ومرض العقم الخطير الذي أصابنا في قدرتنا على تصور الحلول والبحث عن مخرج ، أصبح أكبر من أن يحتمله واقعٌ ينخرُ نازفاً في أجساد الأطفال المكوّمة على محرقة عفننا وانتكاسنا وارتكاسنا الذي ماعاد يمكن السكوت عنه٠

إنه يوم للحسرة على ترددنا عن نصرة اخواننا الفلسطينيين وانتفاضتهم التي جاوزت آمالنا ، وحققت في أشهر قليلة مالم نكن نتوقع له أن يقع قياساً إلى حجم التقاعس والشلل والموات والذل والاستسلام الذي كنا نعيشه قبل عام من الآن ، إنها انتفاضة شعبٍ عظيم من شعوبنا، استطاع بصموده أن يحيّي الذاكرة الجماعية لأمة تنتحر استكانةً وخرساً ، كما استطاع وبدمه أن يعيد ترتيب الأولويات في العقل العربي الذي كان يتلاشى هوانا على أعتاب أوسلو والأيدي المانحة للمطارات والممرات الآمنة ، السالبة منا كلّ شيء ، الارض والشرف والتاريخ ومبرر الوجود والحق والرضى والكرامة الانسانية ٠

إنها انتفاضةٌ أعادت إلينا ثقتنا بالحق الذي كدنا نفرّط فيه ، وبوحدة هذه الأمة على الرغم من كل الحدود والسدود ، والشقاق والنفاق ، وبعض الخيانات والكثير من الحماقات التي حالت دون أن تستعيد هذه الأمة ثقتها بنفسها على ضوء اكتشاف كل هذه الحقائق ، وهي تتخبط بين هذا الألم الدفين المتنامي وهذا الأمل الوليد الذي منحتنا إياه انتفاضة الأقصى المباركة ، فغيرت به منطق التاريخ وقواعد التعامل مع الأشياء٠

وبقي أن نفهم هذا المنطق وهذه القواعد ، وطبيعة هذا الصراع الممتد من الأزل إلى الأبد ، وأن هذه الحرب جولات والأيام دولٌ بين الناس ، والخاسر دائما هو الذي لم يُحسن الصبر الايجابي الفعّال ، ولا الاستفادة من تلك الفرص الصغيرة المتاحة على هامش الصراع ، فتوقف عن العمل وعن البناء وعن النمو بانتظار نزول مسيح الأمل ، ليقضي بنفخة مقدسة على شراذم الطغاة !!، فالمسيح المنتظر لن يعود لأمة هاجعة ذليلة أمام الآخرين ، تمارس جرائم الصمت علناً والطغيان سراً ، كما تمارس آثام الهوان والاستكانة والاستسلام لواقع يمنحها اليوم وعلى الرغم من ذلك كل فرص القيامة والبعث ، وماعليها إلا ان تتحمل آلام تحرير يديها وقدميها من مسامير خشبات الصلبان التي لم تقاوم قط وهي ترفع عليها ، لأنها أمة وأدت الأمل ، وأشعة النور ، والثقة بالغد الآتي ، والثقة بوعد الله الذي لن نراه معجزةً تتحقق إلا عندما نستكمل أسبابه في انفسنا.